البدائل النظرية والاحياء الفينومينولوجي

في الوقت الذي اتجه فيه بعض النقاد نحو النظرية أو نقد الواقع الاجتماعي الذي تفسره هذه النظرية .اتجه البعض الاخر اتجاها مغايرا عندما كرسو جهودهم لصياغة مجموعة من البدائل ،اعتقدوا انه بإمكانها ان تحل محل النظريات السوسيولوجية التقليدية الذائعة الصيت في المجتمعات الغربية وعلى رأسها البارسونزية ، فكل بديل يقوم على أساس النظريات القديمة ،حيث ظهرت هذه البدائل لتتخذ موقفا نقديا من الوضعية والتفكير الوضعي ومن الامتدادات المعاصرة للوضعية (تجسدت في اعمال بارسونز وتلاميذته) ،وهذه البدائل جاءت لتحل محل النظريات القديمة أي (هدم النظريات القديمة وتغييرها) ، حيث يقول " ألفن جولدنر" من الدلائل الاخرى على التعجيل بأزمة الوظيفية ظهور نماذج نظرية شاملة تختلف عن الوظيفية اختلافا جذريا ، فهي نماذج تختلف صياغتها الشكلية وما يرتبط بها من افتراضات ومشاعر عن النموذج البارسونزي بصفة خاصة وعن الوظيفية بصفة عامة."

فحركة التجديد والنقد تتم على ثلاث مستويات :

1- النقد السوسيولوجي الذي يعد ارهاصه لتقديم بديل نظري راديكالي.
2- النقد الاجتماعي الذي يحلل أجزاء الواقع في ضوء هذا البديل.
3- البدائل النظرية من قلب الاتجاه القديم ذاته.

فاعمال رايت ميلز وجولدنر تعد بمثابة أساسا لبديل نظري يمكن أن يطلق عليه البديل الراديكالي أو علم الاجتماع الراديكالي.

فهذه البدائل لها مجموعة من السمات العامة ، وقد اشتقت من روافد واحدة، فقد تكون في اتجاه واحد أو لها اتجاها عاما له مجموعة من الخصائص التي تتسم هذه البدائل جميعا تتخذ من الوضعية المحدثة فهي تعارض التجريد وتعارض الاتجاه الكمي الاحصائي وتتجه نحو الدراسات اليومية ، ونحو دراسة علاقات التفاعل بين الأفراد أنفسهم وتقييمهم للموقف الاجتماعي الذي يتم داخله. وهذه الاتجاهات تحاول احياء التراث الفينومينولوجي بشقيه الفلسفي والاجتماعي ، وكذا تراث التفاعل المزي المرتبط بأعمال توماس كولي cooly وهربرت ميد Herbert mead ، ويذهب موريس روش إلى أن احياء الفينومينولوجيا في علم الاجتماع هو احياء أصح يتمتع بتأثير متزايد في السنوات الأخيرة ، حيث نستعرض الاتجاهات الجديدة في ثلاث رئيسية هي : الاتجاه الفينومينولوجي، الاثنوميتودولوجي ، احياء التفاعلية الرمزية (وهذه المنظرات الثلاثة تسمى بالتحليل السوسيولوجي قصير المدي) بالإضافة الى نظريات مستحدثة أخرى.

والسؤال المطروح هل أسهمت هذه البدائل النظرية في إثراء النظرية السوسيولوجية؟

الجذور البنائية والفكرية للبدائل النظرية

هناك مجموعة من التحولات الفكرية والبنائية التي اجتاحت المجتمعات الغربية في الستينيات والتي كونت تحديا بنائيا وفكريا أمام الاتجاهات الكلاسيكية حيث مكنت من قيام بدائل نظرية يمكن أن تحل محل النظريات الكلاسيكية وتنحصر دلالة هذه التحولات من جانبين:

1- أنها دفعت إلى التشكيك في النظريات القديمة لتحل فيها مكانة حرية الفرد وأفعاه القصدية واللاقصدية مكانا بارزا(نحو التغيير).

2- الفلسفة الوجودية انتشرت بين جماعة الشباب ودعاة التغيير ولقد ركزت هذه الفلسفة من خلال أعمال "كير كجارد" ،" وسارتر" على الخبرة الذاتية وصورته على أنه إنسان له وجوده الخاص ،وتاريخيته الخاصة في علاقاته بعالم الأشياء أو الاخرين ،كما اهتم الشباب بأدب العبث متمثلة في أعمال "البير كامي camus وبيكييت Beekeet وسارتر" أيضا.

هذه جذور بنائية أما الجذور الفكرية التي استمدت منها البدائل أساسها النظري والمنهجي ترجع هذه الاصول الى فلسفة الظواهر phenomenologie بالصورة التي قدمها " إدموند هوسرل" وبعده جاءت أفكار وأعمال " ألفرد شوتز" الذي يعد الرافد الفكري الثاني بعد هوسرل الذي اشتقت منه البدائل الفينومينولوجية المعاصرة ، حيث نقد ألفرد شوتز علم الاجتماع الصوري عند ماكس فيبر ، فوضع تحفظات كبيرة على تحليل ماكس فيبر الذي يذهب إلى أن علم الاجتماع هو العلم الذي يتوصل إلى الفهم التأويلي للفعل الاجتماعي من أجل التوصل إلى تفسير سببي لمجراه واثاره.

ومن هنا بدأت فينومينولوجية شوتز ، فالظواهر الاجتماعية في نظره تتكون من المفاهيم العادية التي يكونها الافراد عن العالم وعن بعضهم البعض خلال حياتهم اليومية، وفي ضوء الصياغات التي يكونها الانسان في حياته العادية ووسط اقرانه ، وكذا من الصياغات الفكرية التي قدمها علماء الاجتماع.